# أشباه طفولة موسى عليه السلام
# في السرد العربي مقاربة إنشائية تاريخية


إعداد الدكتور

**محمد بن علي بن محمد السنيدي**

الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية اللغات والعلوم الإنسانية

جامعة القصيم- بريدة

المملكة العربية السعودية.

# أشباه طفولة موسى عليه السلام
# في السرد العربي مقاربة إنشائية تاريخية

**محمد بن علي بن محمد السنيدي**

**قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والعلوم الإنسانية، جامعة القصيم، بُرَيْدة، المملكة العربية السعودية.**

**البريد الالكتروني:** m.alsonaidi@qu.edu.sa

**الملخص:**

لطفولة موسى –عليه السلام– ما يشبهها، كأن يُلقى طفل في الماء، أو تؤول تربيته إلى خصمٍ له، مثلما أُلقِي موسى في اليمّ، فالتقطه خصمه فرعون وربّاه، ومِن الشخصيات التي لها طفولة كالطفولة الموسوية، ودَرَسَها البحث: حيُّ بن يقظان، وابنُ ذي يزن، وناشرةُ التَّغْلبيّ، وجبلُ بن آل حمدان، وسرجونُ الأَكَدِيّ. وينهج البحث منهج الإنشائية التاريخية إذ يرتّب السرود بحسب الأقدمية في الزمن الذي سُرِدت فيه، وليس بحسب زمنها الواقعي، ويستخرج الأشباه مع بيان اختلافها ووظيفتها. والأشباه هي: (الشبه الإلقائي) و(الشبه التربوي)، بأن يلقى طفل في ماء، أو يتربّى عند خصمه، وقد يجتمع الشبهان في قصة واحدة، وقد يقتصر التشابه على أحدهما، واصطُلح لهذه الأشباه التي بين القصص بالحافز (Motif)، وينبّه البحث على أن لهذا المصطلح مفاهيم أخرى، وأنّ مِن السرديين مَن يميّزه مِن الحافز المشترك (Topos). ومن الملحوظ أن السرود المدروسة مختلفة العصور، ومتنوعة الأجناس، من خبر وقصة فلسفية وسيرة شعبية ورواية ومسرحية.وتختلف حوافز السرود المدروسة في إنماء السرد بين حركي وسكوني، وفي وظيفتها بين وصفي وسردي وحجاجي. ولا يَحْكُمُ البحثُ بأن ذلك التشابه الطفوليّ عن اقتباسٍ من قصة الكليم عليه السلام، فالتوافق قد

يكون مصادفة أو امتثالا لتقليد شرقي قديم؛ فيه يُلقى الطفل قرباناً أو وأدًا أو تثبّتًا مِن نسب، أو يُربّى ابنُ العدو، لتخفّ عداوته، ولئلا يُربّى على الثأر.

**الكلمات المفتاحية:** الحافز، الحافز المشترك، الوظيفة السردية، الإنشائية التاريخية، الإنشائية المقارنة.

# Similarities to Moses' childhood In the Arabic Narrative, A Structural-Historical Approach

**Mohammad ibn Ali ibn Mohammad Al-Sonaidi**

**Department of Arabic Language and Literature, College of Languages and Humanities, Qassim University, Buraydah, Saudia Arabia**

**Email: m.alsonaidi@qu.edu.sa**

## Abstract:

There are some aspects of similarities in some childhood narratives with that of Moses the Prophet, peace be upon him, such as if a child was thrown into the water, or his upbringing was assigned to an opponent of his, just as Moses was thrown into the sea, and his opponent "Pharaoh" raised him. Among the characters who had a childhood like the childhood of Moses, and which the research studied are : the story of Hayy ibn Yaqzan , Ibn Zi Yazan, Nashirah At-Taghlabi, and Sarjun Al-Akkadi .The research follows the historical structural approach, as it arranges the narrations according to seniority in the time in which they were narrated, and not according to their actual time. The similarities are either similarities in the incident of being thrown or in the method of upbringing, such that a child is thrown into water, or is raised by his opponent. The two similarities may come together in one story, or the similarity may be limited to one of them. These similarities between the stories are called the (Motif) . This term has other concepts, and some narrative

scholars distinguish it from (Topos) .The narratives studied are diverse in eras and genres, including news, a philosophical story, a popular biography, a novel, and a play. The narrative motives studied differ between kinetic and static, and in their function between descriptive, narrative, and argumentative. The research does not rule that this resemblance of childhood narratives is based on simulation to the story of Moses, peace be upon him. The correspondence may be a coincidence or compliance with an ancient Eastern tradition, in which the child is thrown as an offering, infanticide, for confirmation of his lineage, or the son of the enemy is raised, so that his enmity is reduced.

**Keywords:** Motif, Topos, Narrative Function, Historical Poetics, Comparative Poetics.

**المقدمة:**

لاحظتُ أن سرودًا عربية تُحكى فيها طفولةٌ تشبه طفولة نبي الله موسى عليه السلام، بجامع الإلقاء في الماء أو التربية عند الخصم، وقد يجتمعان، ووجدتُ أنّ باحثين اعتنوا بحكايات عن الطفل المتروك، وهم:

- دُونَلْد رَدْفُور (Donald B. Radford) في ١٩٦٧، بعنوان: "The Literary Motif of the Exposed Child"، أي: الحافز الأدبي للطفل المتروك.
- شوقي عبد الحكيم في ١٩٨٠، في فصل بعنوان: "موسى" من كتابه: "الحكايات الشعبية العربية".
- محمد الجويلي في ٢٠٢٣، في كتاب بعنوان: "الطفل المتروك لحاله".

وقد احتوت قصصٌ عربية فصيحة على حكايات لم تكن في مدونتهم؛ لاهتمامِ ردفور بأساطير الشرق الأدنى القديمة، واكتفاءِ شوقي عبد الحكيم بما يحكيه العامة عن موسى، وقد ذَكَرَ معها إجمالا ثلاثة أُلقوا في النهر، وهم: سَرْجُون الأَكَديّ، وتَرَاخان الهنديّ، والمسيح[١]، واختصاصِ دراسة الجويلي بالحكاية الشعبية العربية.

وهذا البحث يهتم بما سُرِد سردًا عربيًّا فصيحًا لمن شابهتْ طفولته الطفولة الموسوية، كـ: ابن ذي يزن في: خبر تاريخي، وسيرة شعبية، وناشرة التغلبي في: خبر تاريخي، ومورد مَتَّل، ورواية تاريخية لمحمد فريد أبوحديد (ت ١٩٦٧م) بعنوان: "المهلهل سيد تغلب"، وحي بن يقظان في قصة فلسفية لابن طفيل الأندلسي (ت ٥١٨هـ)، وجبل بن آل حمدان في رواية: "أولاد حارتنا" لنجيب محفوظ (ت ٢٠٠٦م)، وسرجون في مسرحية: "سَرْجون الأَكَدِيّ"، لصلحي إبراهيم (حي ١٩٧٠م)، ولم أجد دراسة سابقة جمعتْ هذه

(١) الحكاية الشعبية العربية، ص١٧٤.

السرود، وعينُها على ذلك التشابه، سوى ذِكْرِ سرجون الأكدي في بحث دونلـد ردفور وكتاب شوقي عبد الحكيم المذكورين في أول المقدمة.

وكما في العنوان؛ فإن بين طفولة موسى والطفولات الأخرى شَبَهٌ يُـدرك بالملاحظة، وكان لموسى فضل الشهرة والثبوت، ولا ينطلق البحث من أن بينها اقتباسًا استحسنه راوٍ فوضعه في حكايته؛ إلا إذا قَوِيتْ الأشباه في غير الطفولة؛ لأن تلك الحوافز قد تقع توافقا لا تبعية.

**ومشكلة البحث هي:**

الفروق الكامنة في هذه المتشابهات، بالنظر إلى التوظيف الموضوعي لها، وإلى العناصر المغيّبة والمبدّلة فيها، ويهدف البحث إلـى: اكتشـافها متوسـلا بالمنهج الإنشائي التاريخي.

إذ يدرس البحث الطفولة الموسوية في السرود العربية باعتبارها وحـدة مكررة في متون حكائية، ثم يميز البحث بين تكراراتها بحسب المبنى الحكـائي الذي تقع فيه، وتسمى هذه الوحدة حافزًا (Motif)[١].

ولهذا المصطلح استعمالات، منها مفهومه في الإنشائية التاريخية الـذي يعتني بالوحدات الموضوعية والغرضية المتنقلة بين الأعمـال الأدبيـة، ومِـن السرديين مَن خصّ الحافز (Motif) بالمكرر في العمل الأدبي الواحد، وسـمّى المكرّرات بين الأعمال بـ(Topos)، وتُرجمت إلى النماذج النمطية[٢]، أو الحافز المشترك[٣].

(١) المصطلح السردي، ص١٣٧.

(٢) السابق، ص١٣٧، ٢٣٤.

(٣) معجم مصطلحات نقد الرواية، ص٧١.

والبحث يرتّب السرود ترتيبا تاريخيا، ويفحص عن الحوافر المتنقلة بينها، ويحدد عناصرها، وعند دراسة الحافز اهتم بـــ: تحديده: (الإلقاء في اليم، التربية عند الخصم)، وبنيته: (اللغة، أو الصورة)، ونوعـــه: (حركـــي، أو ســـكوني) وبوظيفته: (وصفية، أو سردية، أو حجاجية)(١).

وسترتب القصص في البحث بحسب سردها الأخير، لأن تاريخ الواقعـــة غير متعيّن في بعضها، ولأن النظر موجّه إلى المبنى الحكائي، وهو من عمـــل الراوي:

| الطفل | تاريخ الواقعة تقريبيًّا | الحافز | تاريخ سردها، وتصنيفه الأجناسي |
|---|---|---|---|
| حي بن يقظان | غير محدد | الإلقاء في الماء | ابن طُفيل ت٥١٨: قصة فلسفية. |
| ابن ذي يزن | ٥٠ ق.هـــ | التربية عند الخصم | الطبري ت٣١٠هـــ: خبر. |
| | | الإلقاء في الماء | مملوكي مجهول (أول القرن ٩ هـــ): سيرة شعبية. |
| ناشرة التغلبي | ١٠٠ ق.هـــ | التربية عند الخصم | ابن إسحاق ت ١٥١هـــ: خبر. |
| | | | أبو حديد نشر ١٩٤٤م: رواية تاريخية. |
| جبل | غير محدد. | الإلقاء في الماء التربية عند الخصم | نجيب محفوظ نشر ١٩٥٩م: رواية. |
| سرجون الأكدي | ٢٣٠٠ ق م | الإلقاء في الماء | صلحي إبراهيم، نشر ١٩٦٤هـــ: مسرحية. |

(١) السابق، ٦٩-٧٠.

## أولا: حي بن يقظان

شخصيةٌ اقتبسها ابن طُفيل من ابن سـينا (ت ٤٢٨هـ) الـذي وجـد الشخصية عنده مكتملة العلم، قد نالت المعارف بالرحلة البعيدة، كموسى الـذي نال عِلْمًا من رحلته مع الخَضِر، فهل جعل لها ابن طفيل طفولة كطفولة موسى لأجل الشبه في التعلّم بالارتحال؟

لا يظهر هذا؛ فابن طفيل لا يقطع بهذه الطفولة لحي بن يقظان؛ إذ يقول: "فمنهم من بتَّ الحكم، وجزم القضية؛ بأن حي بن يقظان من جملة من تكوَّن في تلك البقعة من غير أم ولا أب، ومنهم من أنكر ذلك، وروى من أمـره خبـرًا، نقصُّه عليك"(١)، أي أن حي بن يقظان نشأ في جزيرة عامرة النبات والحيـوان، غير مأهولة بالبشر، منقطعة عن مرور الناس بها، فاختُلِف مِن أين جاء؟ هـل وضعته أمه في تابوت، وألقته في نهر جرى به إلى الجزيرة أم " أنه تولَّد مـن الأرض، فإنهم قالوا إن بطنًا من أرض تلك الجزيرة، تخمّرت فيه طينة على مر السنين والأعوام"(٢).

وقصّ ابن طفيل حكاية الإلقاء، فقال: "إنه كان بإزاء تلك الجزيرة جزيرةٌ عظيمة، متسعة الأكناف، كثيرة الفوائد، عامرةٌ بالناس، يملكها رجلٌ منهم، شديد الأَنَفة والغَيرة، وكانت له أخت ذات جمال وحسن بـاهر، فعضـلها، ومنعهـا الأزواج؛ إذ لم يجد لها كفؤًا، وكان له قريب، يسمَّى يقظان؛ فتزوجها سرًّا على وجه جائز في مذهبهم المشهور في زمنهم. ثم إنها حملت منه ووضعت طفلًـا، فلما خافت أن يفتضح أمرها، وينكشف سرها؛ وضعته في تابوت، أحكمتْ زمَّه، بعد أن أروته من الرضاع، وخرجت به في أول الليل، في جملة مـن خـدمها وثقاتها إلى ساحل البحر، وقلبُها يحترق صبابةً به، وخوفًا عليه، ثم إنها ودَّعته،

(١) حي بن يقظان، ص٦٢.

(٢) السابق، ص٦٣.

وقالت: اللهمّ إنك خلقتَ هذا الطفل، ولم يكن شيئًا مذكورًا، ورزقتَه في ظُلُمات الأحشاء، وتكفَّلت به، حتى تمَّ واستوى، وأنا قد سلَّمتُه إلى لطفك، ورجوتُ له فضلك؛ خوفًا من هذا الملك الغشوم الجبّار العنيد، فكن له، ولا تُسْلِمه، يا أرحمَ الراحمين. ثم قَذَفَتْ به في اليم"(١).

والحافز صِيغ بحذر فيلسوف؛ كي لا يكون فيه مدخل للقول بأن: من الممتنع جسارة أمٍّ على فعل هذا، وأن من الممتنع سلامةَ مولودٍ ملقى في الماء واختفاءَه عن أعين الناس إلا في إعجاز إلهي، يستأثر به الأنبياء، وحي بن يقظان ليس منهم.

فقولُه: "إنه كان بإزاء تلك الجزيرة جزيرة عظيمة"، لنفي أي اتصال جغرافي بمكان ميلاده؛ ليؤكّد عزلة النشأة لحيّ، وفي وصفه لأمٍّ حيٍّ بأنها: "ذات جمال وحسن باهر، فعضلها ومنعها الأزواج؛ إذ لم يجد لها كفؤًا". صفاتٌ تسوّغ انتفاء الكفء، فلها جمال وجاه.

وقوله إنه كان لها: "قريب يسمَّى يقظان" جوابٌ عن: كيف عرفتْ يقظان، وهي ممنّعة بأمر أخيها الملك؟

وقوله إنه: "تزوجها سرًّا على وجه جائز في مذهبهم المشهور في زمنهم" جوابٌ عن: أين الولي؟ وأين سُنّة الإعلان؟ وقوله: "أروته من الرضاع" جوابٌ عن الاستغراب من ارتحال حيٍّ الطويل من دون رضاع، وقوله: "خرجت به في أول الليل في جملة من خدمها وثقاتها إلى ساحل البحر"، ليعرف القارئ أن لها معاونين في إحكام التابوت.

وبقوله: "إنها ودَّعته وقالت: اللهم..." يستسيغ القارئُ جسارة الأم؛ بأنها سلّمت ابنها إلى لطف الله، فأشبهتْ أمَّ موسى التي ربط الله قلبها ببشارتي الرجوع والنبوة.

---

(١) السابق، ص٦٢-٦٣.

وإذا كان منتهى تابوت موسى عند فرعون؛ فإن تابوت حيّ ينحو إلى جزيرة منعزلة، وهنا تتفارق الرحلتان؛ لأن الله أراد موسى نبيًّا في بني إسرائيل، ورسولًا إلى فرعون، فأبقاه مخالطا للناس، أما حي بن يقظان فأراده القاص نموذجا لإنسان يُحصّل العلم بمعزل عن الناس؛ وكان في حافز الإلقاء البحري وجاهة سردية، تسوّغ الوصول إلى هذه العزلة؛ فهو حافز حركي مؤثر في سيرورة القصة وتقبلها.

وآلتْ تربيةُ حيّ لظبيةٍ فَقَدَتْ صغيرها، وسمعتْ صراخُ حيّ في تابوته، فأزالت لوحًا منه، وحنّت عليه، وأرضعته، وغذته حتى كبر(١).

وفَضُلت الظبية على غيرها من الحيوان؛ لأنها من العواشب، وليست من السباع التي تفترس الإنسان، وفضلت على بقية العواشب لسرعتها؛ فلا تتأخر عنه، بل تفِر من السباع، فتنجو نجاةً تُديم أمومتها لحي، ثم إنّ القارئَ لَيتقبل اللطف والرقة والعطف من الظبية؛ لأنها صُوّرت مَضْرِبًا في هذا.

ومن الممكن أن يُتَأَوَّل لهذه التربية خصومة، هي بين قوتَي النفس العاقلة والبهيمية(٢)، فحي بن يقظان ذو قوة عاقلة تربّت عند بهيمة؛ فلم تغلب القوة البهيمية القوة العاقلة على الرغم من سلطانها التربوي، فحافز التربية –على افتراض أن القوة العاقلة تربّت عند القوة البهيمية– وُظّف للحجاج عن شأن العقل، وتفرّده، واتساق منطقه، واستعلائه على الغرائز البهيمية، وقدرته على اغتنام مشاهداته وتجاربه في بناء فكره ومعتقده، ولولا هذا التأويل لكان الحافز سكونيًّا، لا أثر له.

(١) السابق، ص٦٣.

(٢) جمهورية أفلاطون، ص٢٤٨.

## ثانيا: ابن ذي يزن

يُخبر هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤هـ) في تاريخ الطبري أن أبا مُرّة الفيّاض –وهو ذو يزن– من أشراف اليمن، له زوجة اسمها ريحانة، ولدتْ له مَعْدِيْكَرِب، وانتزعها منه أبرهةُ الأشرم، فأخذ ذو يزن يستعين بالمنـاذرة في العراق؛ فأرشده ملكُهم عمرُو بن هند إلى كسرى، فذهب إليه، وأقام عنده، ولم ينجده، ومات عنده، وأما ابنه فنشأ في بيت أبرهة، يظنه أباه، "فسبّه ابنٌ لأبرهة، فقال له: لعنك الله، ولعن أباك! وكان معديكرب لا يحسب إلا أن الأشرم أبوه، فأتى أمه فقال لها: مَن أبي؟ قالت: الأشرم، قال: لا، والله ما هو أبي! ولو كان أبي ما سبّني فلان. فأخبرته أن أباه أبو مرة الفياض، واقتصّتْ عليه خبره، فوقع ذلك في نفس الغلام، ولبث بعد ذلك لبثا"[١]، ثم خرج ابن ذي يزن مستنجدا بملك الروم، فلم ينجده؛ لتوافق الروم والحبشة في الدين، فأعاد كرّة أبيه مع كسرى، فأنجده بثمانمئة من المساجين في بلاده، فتغلب بهم على الأحباش.

وأما السيرة الشعبية فجعلت ابن ذي يزن ابنًا لـ(قمرية)، وهي جارية أهداها ملك الحبشة (سيف أرعد) إلى ملك اليمن (ذي يزن)، وأمرها أن تحتال لقتله، فكان هذا، لكنها حملتْ منه، وقد ملكت اليمن بعده، فلما وضعتْ ما في بطنها، خشيتْ أن تُخلعَ من الملك، بأن يؤولَ إلى وليدها، فأبعدته عند شجرة، فجاءته غزالة ثكلى، قد أخذ الصياد ابنها، "فأنزل الله في قلبها الحنان، فألقت بثديها في فمه"[٢]، ثم عاد الصياد، وأخذ الوليد، وأعطاه الملك (أفراح)، وكان عنده الحكيم (سقرديون)، الذي تشاءم منه، وقال: "وجدتُ في الكتب العظيمة والملاحم القديمة أنّ وَلَدًا سيظهر، يُقال له: (تُبّع جار الغزال)، يقضي على عَبَدَة

(١) تاريخ الرسل والملوك، ١٤٢/٢.

(٢) سيرة سيف بن ذي يزن، ص٤٦.

زُحل، ويكون أبوه من حمراء اليمن"[١]، ونصح الحكيمُ الملكَ بقتله، فأبى، وأبقاه، وسمّاه (وحش الفلا)، وأعطاه حاضنةً في القصر، فلما صار معها، وكانت تملأ الإناء بالماء، خاطبها صوت، أن: "أحضري (وحش الفلا) يتربّى عندي"[٢]، فوضعته الحاضنة عند المزيرة (جرة الماء)، وأخذته الجن.

وأول ما يُلحظ أن مؤلف السيرة الشعبية قد استبدل حافزا بحافز من طفولة موسى، فترك التربية عند الخصم التي كانت في خبر ابن الكلبي، واعتاض عنه بـ(الترك عند الماء)؛ لأن سيرة سيف بن ذي يزن تصوّر صراع اليمن والحبشة، أو أبناء سام وحام، فجعلتْ مرباه منقطعًا عن بيته، فلا هو الذي تربّى عند أمه الحبشية قمرية، ولا هو الذي تربّى عند خصمه ملك الحبشة كما في الخبر التاريخي؛ فلا تكون للحبشي منّة على اليماني، وعلى هذا فحافز الإلقاء عند جرة الماء وُظّف لتأتلف نشأةُ البطل مع صراعاته؛ فيتفق أول السرد وتاليه، ثم صار الترك عند جرة ماء؛ لأن الآخذ جِنٌّ مخالطون للإنس في مساكنهم، ليسوا بحاجة إلى يمٍّ يجري بالطفل إليهم، وهذا دليل على حركية الحافز، وأنه لم يأت تكرارًا محضًا.

ويُلحظ ثانيًا أن الطفل ترأمه ظبية كحي بن يقظان، فهل أخذ مؤلف السيرة هذا من قصة حي؟ وهو متأخر عن زمن ابن طفيل؛ إذ يُقدّر أنه مصريٌّ مملوكيّ من أهل القرن التاسع الهجري؛ لوضوح تأثّره بالصراع بين دولة المماليك والملك الحبشي سيف أرعد (ت ١٣٧٢م) في ذاك القرن[٣].

الأقرب أن رعاية الظبية لوليدٍ بشريٍّ حافزٌ شائع[٤]، نهلت منه القصتان؛ لأن ابن طفيل يروي عن غيره، ولا يجزم به، كما مر، وليس في سيرة ابن ذي

(١) السابق، ص٤٨.

(٢) السابق، ص٥٠.

(٣) فؤاد حسنين، سيرة سيف بن ذي يزن، مجلة الثقافة، مصر، عدد ٢٦٢، ١٩٤٤، ص١٩

(4) The Literary Motif of the Exposed Child

يزن ما يدل على أنها بتأليف مُهتمٍ بالفلسفة ناظرٍ في آثارها، وتغذيةُ الحيوانات للطفل المنقطع عن أهله مذكورةٌ في غير هاتين القصتين، كقصة سَطِيحٍ الكاهن الجاهليّ أنه تربّى عند ذئبة، إذ "أخذته ذئبة –وهو طفل– فذهبتْ به إلى غَيْضة، فجعلتْ تغذوه بأنواع الثّمار حتى أدرك، واشتدّ، فهرب منها، وأتى قومه، فخبّرهم بقصتها، وأقبلتْ في أثره كالأم الثَّكلى تطلب ولدها فرمَوْها حتى قتلوها"(١)، وله أمثلة في الحكايات الشعبية العربية، تتولّى السمكة أو البقرة أو الظبية أو الطاوس أو النسر رعاية طفل متروك(٢).

(١) الأزمنة والأمكنة، ١٩٦/٢.

(٢) الطفل المتروك لحاله، ص١٣٣–١٤٣.

## ثالثا: ناشرة التغلبي

جاء في الرواية المنسوبة إلى محمد بن إسحاق عن أخبار البسوس: أن ناشرة بن أغواث التغلبي قاد غارة لتغلب على بكر، وأنه فارس فاتك، وأنّ أمَّه مولاةٌ لهمام بن مرة البكري أخي جساس، وأنها لما ولدته أرادتْ قتْله، فمر بها همّام، وسألها لمَ تفعل هذا؟ "قالت: إني أخاف عليه وعليّ الضَّيْعة والعَيْلة. قال لها: ويحك! أما يكفيك لقحةٌ حلوب، وجملٌ ذلول؟ قالت: بلى. فأمر لها بذلك؛ فكان ناشرة غَذِيًّا لهمام"(١)، وذكر ابن الكلبي أنه "نشأ في حجره"(٢)، وذكر ابن عبد ربه أنه "ربّاه وكَفَله"، وأن الزير لما وَجَدَ همّامًا مقتولا في يوم واردات قال: "والله، ما قُتِل بعد كليب قتيلٌ أعزّ عليّ فَقْدًا منك!"(٣)، فلما صار ناشرة فارسًا، رأى همامًا يسقي الناسَ اللبنَ في يوم واردات، فقَصَدَه وقَتَلَه، فقالت أم ناشرة:

**"ألا ضيَّعَ الأيتامَ طعنةُ ناشرهْ أناشرُ لا زالتْ يمينُكَ واترهْ**
**قتلتَ رئيسَ القومِ بعدَ رئيسِهِمْ كُليبٍ، ولمْ تشكرْ، وإنّي لشاكرهْ"(٤)**

وحافز التربية عند الخصم الذي في خبر ناشرة وهمّام اختلف عمّا قصة موسى وفرعون باختلافات جليّة، فليس لفرعون مِنّةٌ كمِنّة همام، ففي تفسير الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) لدعوى فرعون: {ألم نربّك فينا وليدا}، وردّ موسى: {وتلك نعمة تمنّها عليّ أنْ عبّدت بني إسرائيل} قال: "كرّ على امتنانه عليه بالتربية، فأبطله من أصله واستأصله من سِنْخه، وأبى أن يُسمّي نعمته إلا نقمة؛ حيث بيّن أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بنى إسرائيل؛ لأنّ تعبيدهم وقصدهم بذبح

(١) كتاب بكر وتغلب، ص٨٣.
(٢) نسب معدّ واليمن الكبير، ٨٣/١.
(٣) العقد الفريد، ٢١٩/٥.
(٤) كتاب بكر وتغلب، ص٨٣.

أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته، فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه"[١]، فلولا استعباد فرعون لبني إسرائيل وتصرفه في أرواحهم ما تخلّت أم موسى عنه.

وفصّل الرازي (ت ٦٠٦هـ) في بطلان منّة فرعون على موسى بناءً على ردّ موسى بأوجه خمسة، أولها: أنني مستغنٍ عن تربيتك لو أنك لم تظلم قومي، وثانيها: أن الإنعام مُعارَضٌ بالظلم؛ فتساقطا، وثالثها: أن نفقتك عليّ من الأموال التي أخذتْها من قومي، ورابعها: أن التربية من أمي وليست منك، ولا فضلَ لك سوى أنك ما قتلتني، وخامسها: إنْ كنّا عبيدَك فلا "منّة للمولى على العبد، في أن يطعمه، ويعطيه ما يحتاج إليه"[٢]، وينبّه الرازي على أن المخالفة في الدين لا تُبطل نعمة الإحسان؛ لأن موسى لم يُبطل منة فرعون بكفره، ولذلك قد يكون للمربي تمام المنة إذا لم يتلبّس بظلم الطفل أو قومه.

وأما ناشرة التغلبي وهمام البكري فكانا عكس موسى وفرعون في الخير والشر، وكان ساردو القصة واعين بهذا الاختلاف.

ومن خبر ناشرة جاء المثل: "أكفر من ناشرة"[٣]، وقصته أنّ همامًا: "استنقذه من أمه، وهي تريد أن تئده؛ فربّاه، وأحسن إليه، فلمّا ترعرع قتل هماماً"[٤]، وقال الميداني (ت ٥١٨هـ) في هذا المثل: "هذا من كفر النعمة"[٥]، وذُكِر الخبر في فصول عن اللؤم في مصادر أدبية[٦].

---

(١) الكشاف، ٣٨٤/٤.

(٢) مفاتيح الغيب، ٥١١/٦.

(٣) جمهرة الأمثال، ١٦٧/٢.

(٤) السابق، ١٣٣/١.

(٥) مجمع الأمثال، ١٧٠/٢.

(٦) محاضرات الأدباء، ٤٥٠/١. غرر الخصائص الواضحة، ص١٤٨.

وسَرَدَ هذه الواقعة محمد فريد أبوحديد في روايته التاريخية "المهلهل سيد ربيعة" عام ١٩٤٤م، مفضّلا تغيير الخط الزمني، مُؤْثِرًا أن يجيء بِعلاقة ناشرة ومربّيه بالاسترجاع، وهو الرجوع إلى حدثٍ في زمن سابق(١)، فابتدأ الـراوي بمشهد مهلهل لجثة همام، والذي دلّه عليها ناشرة القاتل، إذ قال: "في تلك الليلـة كان مُهلهِل يجول في أنحاء الوادي، يسير في أثر فتى ضئيلٍ حائل اللون، حتى إذا بلغ الفتى الجانب الأدنى من الكُثبان، وقف، وأشار إلى جسمٍ ممـدودٍ علـى الأرض مائلٍ إلى جنبه، وقد اختلطَتْ حوله الرمال بالدماء، يَمدُّ يدَه نحو قِربـةِ ماءٍ في حُفرةٍ بين الرمال"(٢).

ثم استرجع ناشرة قتله إياه، متباهيا بهذا: "هناك انتظرتُه حتى اشتدَّ بـه العطش، فأتى ليَرتوِيَ من قِرْبته التي جعلها في جانبٍ من الرمال، فلمّا جلـس؛ ليستريح، ويشرب، تَغفَّلتُه وطعنتُه، وكانت طعنةً قاضية"(٣).

فاسترجع المهلهل معروف همام معه، سائلا: "ألا تعرِف فضْلَ همّامٍ عليك يا ناشرة؟! فقال الفتى: نعم، لقد أخبرتني أُمّي"(٤)، ثم فصّل الراوي هذا المعروف التفصيلَ الذي في الأخبار السابقة.

والراوي يصوّر مأساة همام بالمفارقة بين نيته الارتواء من قربة الرمال وارتواء الرمال من دمه، ويصوّر في ناشرة قساوة القلب وبرودة العاطفة، فـإنّ استفهام مهلهل للتوبيخ، لكنّ ناشرة لم يعي هذا؛ بل أجـاب إجابـة الاسـتفهام العادي، وأخطأ؛ فبدلا من أن يقول: (بلى) –التي لإثبات المنفي– قال: "نعم" التي لتأييد النفي، فصارت فلتات لسانه شاهدة عليه؛ ويُسجِّل الراوي تقبـيح صـنيع

(١) معجم السرديات، ص ١٧–١٨.
(٢) المهلهل سيد ربيعة، ص١٢١.
(٣) السابق، ص١٢١–١٢٢.
(٤) السابق، ص١٢٢.

ناشرة على لسان المهلهل وقَسَماته، وليس على لسان الأم كما في أخبار الأوائل؛ فمهلهل ينظر: "نظرةً ساهمةً إلى الجُثّة الممدودة وإلى وجهها المُعفَّر، وغاب حيناً في صمتٍ وتفكير"(١)، وأنه: "قال –والدموع تجري في مآقيه–: أي همّام! يا رُبَّ ليلةٍ جمعتْنا على المودّة، ويا رُبَّ حديثٍ تبادلناه على الصفاء. إنِ الثأرُ حبَّبَ إليَّ قَتْلكَ؛ فأنتَ كُفءٌ كريم، ولكنَّ قلبي يُنازِعني إليك يا صديقَ الشباب، وإنّ كبِدي لحَرَّى عليك يا خليل الصِّبا؛ ما قُتِلَ بعدَ كليبٍ من هو أعزُّ منك عليّ، وما بقِي بعدكما في الحيَّين من يُعقَد الخير عليه"(٢)، ثم إنه قال لناشرة: "اذهبْ يا ناشرة، وغيِّبْ وجهَكَ عنّي".

ويجعل الراوي بين ناشرة ومهلهل تضادًّا، فناشرة غلّب الحُسبان القَبَليّ على الحُسبان الشخصي، فهو يعلل فعلته قائلا: " لم أعرِفْ في شيبان أكرمَ منه؛ لأقْتُلَه في ثأرِ كليب"(٣)، وأما مهلهل فعكسه؛ فلم يفرح، ولم يستغل فقدان بكر لأكرم فرسانها؛ فيستمر في الغارة عليهم؛ بل "هزَّهُ قَتْلُ همّام؛ فلمْ يدَعْ له رغبةً في معاودة القتال"(٤).

وحركية هذا الحافز ظاهرة، وقد جاءت محافظةً على سردية القصة في خبرها الأول، ومُسْهِمَةً في بيان الصراع بين الواجب الشخصي والواجب الاجتماعي، وراسمةً وجهًا آخر لمهلهل، فيه الوفاء لصداقة قديمة مع عدو حاضر.

---

(١) السابق، الموضع نفسه.

(٢) السابق، ص١٢٢–١٢٣.

(٣) السابق، ص١٢٢.

(٤) السابق، ص١٢٣.

## رابعا: جبل بن آل حمدان

في رواية أولاد حارتنا لنجيب محفوظ التي صدرت في ١٩٥٩م سلسلة صحفية، ثم كتابًا في طبعات أولها ١٩٦٢م(١)، كان من أولاد الحارة فتى اسمه جبل، له من الرواية فصلٌ وجيلٌ مستقل بزمنه وشخصياته وأحداثه كسائر الأولاد، ولحارته رئيس، هو الأفندي، وللرئيس زوجةٌ اسمها هدى، وفتوةٌ يعينونه على التسلط على آل حمدان الذين هم عامة الحارة، ولا يخفى أن متون الحكاية لأولاد الحارة أدهم وجبل ورِفاعة وقاسم تقارب –وأحيانا توافق– سير أنبياء، ما عدا آخرهم، وهو عَرَفة.

ولـ(جبل) نصيب الشبه بـ(موسى)؛ فكان الأفندي المذكور شبيهًا بفرعون، وآل حمدان كبني إسرائيل، وحارة السقّائين كمَدْيَن، لكنّ حافزَي (الإلقاء في الماء، وتربية الخصم) اختلفا عما في قصة موسى بعضَ الاختلاف؛ فالراوي استبدل حفرة الماء باليم؛ ليلائم بيئة الحارة، وكان جبل –وهو طفل– يستحم بها، فرأته امرأة الأفندي، ورقّت له، واتخذته ولدًا، وكانت عقيمًا، والراوي لا يذكر لجبل أمًّا ولا أختًا؛ بل جعله يتيمًا رَعَتْه بيّاعة، ثم تنازلتْ عن رعايته لامرأة الأفندي، فنشأ في بيتها، وتعلّم، ولما نضج ولّاه الأفندي مهامَّ من عمله(٢).

وليس للحافز المائي أثر سوى وصف جبل بشيء من طفولة موسى، ليكون الرمز يسيرًا على القراءات التي لم تألفْ مزجَ التاريخ القديم بالحارة المعاصرة، لكنه من جهة السرد حافز سكوني.

وأما حافز (تربية الخصم) فالمنة تأتي من زوجة الأفندي (هدى)، فأغلب الحوارات التي يوضع فيها جبل بين: منّة التربية ونصرة المظلوم كانت مع

(١) أولاد حارتنا، ملحق (أعمال نجيب محفوظ) ص٥٩١.
(٢) أولاد حارتنا، ص١٣٧.

هدى، ولهذا الحافز شأن حركي في حكايته؛ رَسَم شخصيته، وصنع له (حبكة اختبار)، وهي أن توضع الشخصية المحبوبة في تحديات صعبة؛ ليُنظر أتثبت هذه الشخصية على مُثُلها أم تتخلّى عنها[١]، فكان جبل: "ليس شخصًا واحدًا كما توهم طوال عمره، ولكنه شخصان. أحدهما يؤمن بالوفاء لأمه، وثانيهما يتساءل في حيرة: وآل حمدان؟!"[٢].

**وأما التحديات فكانت صراعًا:**

- بين جبل الوليد في آل حمدان وجبل الربيب في بيت الأفندي، فكان يقول لـ(هدى): "سيدتي، إني ربيب نعمتك، ولكني لا أدري ماذا أقول، فلستُ إلا أحد أبناء حمدان!"[٣].
- بين الوفاء والحقيقة، فيقول لها: "إن المقطَّم لا يستطيع أن يزحزحني عن الوفاء لك، لكن إنكار الحقائق لا يغيرها"[٤].
- بين مشاعر القلب ونوازع الأصل، فتقول هدى عنه: "قلبه معنا، ولكن شق عليه أن يتنكر لأصله"[٥].
- بين كُرْه آل حمدان له وانتمائه إليهم، فيقول الراوي: "الحزن شتَّت عقله. ومن عجب أن آل حمدان لا يحبونه، وهو يعلم ذلك ويذكر كيف كان يقابل بالبرود في قهوة حمدان في المرات القلائل التي غشيها. مع ذلك أحزنه ما يدبَّر لهم من شر"[٦].

---

(١) معجم السرديات، ص١٤٣.

(٢) أولاد حارتنا، ص١٣٧.

(٣) السابق، ص١٣٥.

(٤) السابق، الموضع نفسه.

(٥) السابق، الموضع نفسه.

(٦) السابق، ص١٣٦.

– بين الشكر والعار، فيقول للأفندي: "ما أنا إلا ربيب نعمتك فلا يمكن أن أكون عليك، ولكن من العار أن أترك أهلي يبادون وأنا أنعم بظلك"(١).

وجعل الراوي (هدى) موافقة لتسلط الأفندي؛ لتصعيد التحدي بين نازعَي الأصل والمنشأ، وقد بقي الود بينهما حتى مع تصاعد الصراع بين الأفندي وآل حمدان، فبعد عودته من حارة السقّائين –وكان هاربا إليها بعد قتله أحد فتوة الأفندي– قالت له: "كيف لم تجعل من بيتي أول بيت تقصده لدى عودتك إلى الحارة؟"(٢).

وبعد أنْ تغلّب على فتوة الأفندي في آخر الحكاية، زاره في بيته، والتقى هدى، وحاورهما، وانتهى الحوار بأن قالت: "ستتناول يا جبل عشاءك معي الليلة، هذه رغبة أم!"، وقال الراوي: "فطن جبل إلى ما ترمي إليه من إعلان المودة بينه وبين بيت الناظر، ولم يكن في وسعه أن ينبذ رغبتها؛ فقال: لك ما تشائين يا سيدتي"(٣).

فالحافز استغله الراوي؛ ليختبر الشخصية الرئيسة، وليكوِّن له مفارقةً غير مفارقة الدين التي في قصة موسى؛ تناسب قضايا الصراع الطبقي بين السلطة والمهمَّشين، والصراع المبدئي بين الفردانية والالتزام الاجتماعي التي اهتم بها الجيل الذي عايشته الرواية، وجَمَعَ للمرأة المنّة والمخالفة، وجعل الربيب تام التربية في بيتها، مقطوعًا عن أبويه، بل جعلهما مجهولَيْن، مع جفوة أهله من آل حمدان له؛ ليكون هذا الصراع أعمق.

(١) السابق، ص١٥٤.

(٢) السابق، ص١٩٢–١٩٣.

(٣) السابق، ص٢١٢.

## خامسا: سرجون الأَكَديّ

مسرحية سرجون الأكدي لصلحي إبراهيم، نظمها في عام ١٩٦٤م من أربعة فصول، عن أحد ملوك الرافدين، يُؤرخ بأنه كان قبل الميلاد بأربعة وعشرين قرنًا، ورُويت لميلاده قصة تشبه ميلاد موسى(١).

وذكر شوقي عبد الحكيم أن إلقاء الطفل في النهر شائع في الشرق القديم(٢)، وعلى هذا، فاللهُ أَمَرَ أم موسى بعمل مألوف، وتكفّل لها بنتيجته.

والإلقاء في النهر والبحر لوأد، أو لقربان، وتسليم المصاير إليه في أمان أو نسب، قد كان في الشرق القديم(٣)، ومنها الأمم التي فتحها الإسلام، ففي مصر قال أهلُها لفاتحها عمرو بن العاص: "أيّها الأمير! إنّ لنيلنا هذا سُنّة لا يجرى إلا بها، فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إنه إذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر، عَمَدْنا إلى جاريةٍ بِكْر بين أبويها؛ فأرضينا أبويها، وجعلنا عليها من الحَلْي والثياب أفضلَ ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما قبله"(٤).

وقد جاءت هذه الفكرة في زمن ولاية زياد بن أبيه على العراق، إذ اختصمت عنده عشيرتا راسب وطفاوة في نسب غلام، فتقدم سعد الرابية؛ ليحكم بينهما، فقال: "أرى أن يُلقى في النهر، فإن رسب فهو لبني راسب، وإن طفا فهو لبني الطفاوة! فأخذ زياد نعليه، وقام، وقد غلبه الضحك، ثم أرسل إليه: إني أنهاك عن المزاح في مجلسي. قال: أصلح اللّه الأمير، حضرني أمرٌ خفتُ أن أنساه"(٥)، والخبر يورده ابن عبدربه في "الفكاهات والمُلَح"، وتنسبه مصادر

(١) سرجون الأكدي مسرحية شعرية، ص١١٧.

(٢) الحكايات الشعبية العربية، ص١٧٤.

(3) The Literary Motif of the Exposed Child., p225

(٤) فتوح مصر والمغرب، ٢٠٣/١.

(٥) العقد الفريد، ٤٣٠/٦.

إلى هبنقةَ مضربِ المثل في الحمق[١]، وفكرة الإلقاء في البحر أوحت بها أسماء العشيرتين الدالة على أحوال مع البحر (الرسوب والطفو)، وقد تكون من إرث قديم، سيق مساق الفكاهة، وسعد الرابية عالمٌ، كان يتخذ رابية مكانًا يُعلّم فيها؛ فلُقِّب بها[٢]، وكان هو في العراق التي لها إرث في قداسة النهر وسيادته القَدَرية والعَدْلية[٣]، وقد قيلت في زمن مبكر من الفتح الإسلامي له، فالعراق حينئذ حديث عهد بجاهليّاته.

والفصل الأول من مسرحية "سرجون الأكدي" عنه فلاحًا، والثاني عنه ساقيًا للملك، والثالث والرابع عنه مَلِكًا، وليس في المسرحية السرد الكافي لتحولات سرجون، إنما حمل الحوار بعضها باقتضاب، ففي الفصل الأول لمّا كان فلّاحًا روى لحبيبته (أوميت) كيف وصل إلى البستان:

**"إلى الماء ألقتْنيْ بسلّتِها أُمّي ومِن روحها روحي ومِن جسمها جسمي**
**فألقانيَ النهرُ الحبيبُ لشاطئٍ نشأْتُ لدى فلّاحِه نشأةَ الوهْمِ**
**وكان أبًا ليْ في هناءةِ عيشتي وفي مخْمل الودّ لي زوجُه أُمّي**
**رعانيَ نجْلًا في توثُّبِ هِمّتي وطَوَّقَ نجمي كالهلال على نجمِ**
**فآلفتُ همّي منذُ حيرةِ نشأتي ربيعَ حياةٍ زاهرًا أخضرَ الحُلْمِ"[٤]**

---

(١) جمهرة الأمثال، ٣٨٥/١.

(٢) معجم الأدباء، ٣٤٥/٣.

(٣) المعتقدات الدينية في العراق القديم، ص٢٧، ٤٢.

(٤) سرجون الأكدي مسرحية شعرية، ص١٩-٢٠، وفي قوله: "وفي مُخْمَلِ الودّ لي زوجه أُمّي" حذفان: الحذف الأول في مفاعيلن الأولى التي صارت: مفاعيلُ، ويُسمّى: (الكفّ)، والحذف الثاني في فعولن الثانية التي صارت: عولن، ولو كان الحذف في أول البيت لجاز وعُدّ من (الخرْم). الكافي في العروض والقوافي، ص٢٦-٢٧.

فأُمّ سرجون وضعته في سلّة، وألقته في النهر، فوصلت السلة إلى فلّاح اسمه (آكي)، له بستان على ضفة النهر، فأخذ منها سرجونَ، وربّاه، وقد سمع خبر الإلقاء خِلسة من الفلاح وزوجه اللذَين كان يراهما أبويه:

" سرجون: قد وعى سمْعيَ ما أسْررْتَهُ

آكي: ما الذي أسررتُه؟

سرجون: عن سلّتي.

آكي: واهمٌ أنت؟!

سرجون: ولكنْ قد بدا واضحًا ما كَتَمُوا مِن قصّتي"(١).

وعزم سرجون على مغادرة البستان، والذهاب إلى بلاد (سومر)؛ فاستنكر آكي رحيله، وقال:

**"أتمضي وتترك آماقنا لأدمع فُرْقتك الجارية**
**بُنيّ هَوَيْتُكَ عبقَ الزهور ونورًا لظُلْمة أيّامية**
**أحلتَ الحياةَ ربيعًا يرفّ بأحلام متعته الهانيةْ**
**فرُمْتُك ذُخْراً لشيخوختي"**

ويرد سرجون:

تلوح على أفْقها في الشروق "أمامي تُشَعْشِع آماليةْ
وفي نشر أزهارها الناديةْ"(٢)

كلاهما يعبّر عن مشاعره، فآكي صار شيخًا، ويرى في سرجون زهرة أيامه، وربيع حياته، وذخره في الهَرَم، وسرجون يرد بالآمال التي تنتظره، ثم انتقل حوارهما إلى الأرض، فقال سرجون:

---

(١) سرجون الأكدي مسرحية شعرية، ص٢٣.

(٢) السابق، ص٢٤.

أتهْصِرُني كـفٌّ هـذا الثـرى وترجو بقـائي علـى حاليـهْ
أبيـتُ هنـا بجُنـاحٍ كبيـر تـؤرّقني مهْجتـي الداميـهْ
سئمتُ الحياةَ بهـذي الربـوع وحيث طَفَـتْ سـلّتي الجاريـهْ
رأيتُ السماءَ وحقلـي الجميـل وأشـجارُه رُمـن نكرانى ـهْ
ففـيمَ البقـاء؟ وفـي سـومرٍ سأحظى بـأحلاميَ الزاهيـهْ"[1]

فهذه حجة سرجون، أنه لا يقبل أن يجذبه تراب البستان، ويبقيه على حاله، مُحْرَجًا ساهرًا داميَ القلب سائمًا من الحياة، يحس أنه في مكان غير مكانه، بل إن البستان أنكره، فلعله يجد في سومر ما لم يجده هنا، والنقاش بين الربيب ومربّيه لا يصل إلى خصومة كخصومة موسى وفرعون وما شابهها من خصومة بين ناشرة وهمام، وبين جبل وبيت الأفندي، غير أن في حوار سرجون وآكي تطل خصومة المدينة والقرية، التي شُغِف الأدبُ العربي الحديث في جيل المؤلف وما قبله، ولا سيما في هجرة شباب القرية، وتركهم لأشياخها الذين أمّلوا أن ينوب أولاء الشباب عنهم في فلاحتها، وألّا تأخذهم المدينة بوظائفها وجديد أحوالها.

فـ(آكي) يرد على سرجون مذكّرا بقيمة الأرض التي تَتَطَلَّع لأبنائها، خاصة أنها من بساتين الفرات التي لا تضاهيها أي بساتين أخرى في نضارتها وإشراقها، وأننا نحن أبناؤها، ولها عهد في ذمتنا، حتى إننا سَقَيْنا عروقَها بدمائنا، وعَدَدْنا العَرَقَ الذي ينضح منّا عند فلاحتها شذا طيّب الرائحة، إذ قال آكي:

هـذه أرضـنا الحبيبـة ترنـو لبنيهـا بلهفـة الأحـداق
خصبُها والفراتُ أنهـى جنانًـا نافسـتْها نضـارة الإشـراق
وبنوهـا نحـن الأُلـى نَهَلَتْنـا عَرَقًـا مـن شِـعّيلةٍ حُـذّاق
باركتْهـا جهودُنـا صـادقاتٌ وعهـودٌ بذمّـة الأعنـاق

(١) السابق، ص٢٥.

**قــد رَوَيْنــا أعراقَهــا بــدِمانا فشــذانا بنفْحــة الأعــراق"[١]**

وتدخل زوجة الفلاح –التي لم تُسمَّ– في هذا الحوار:

"سرجون: أمي ... حياتي

آكي: أنت أنكرتها بلا إشفاق

الزوجة: كيف هذا؟!

آكي: يروم عنا ارتحالا

الزوجة: ويح نفسي

آكي: عقوقه ما نلاقي"[٢]

ويمضي سرجون في طريقه، وتصوّره بقية الفصول ساقيا لملك، ثم ملكًا، أما فصل الطفولة والنشأة؛ فحافز الإلقاء كان حجة في عدم الانتماء إلى البستان، فكان حركيًّا، جعل سرجون يغادر المكان، وأما الصلة بالمربي فلم تقــع فيهــا المخالفة إلا عند الرحيل؛ وإنما تلبّس الحوار جدل القرية والمدينة، والمهن التي يريدها الشيوخ، والمهن التي يطمح إليها الشباب، وكانت الحكاية في غنى عــن هذا الجدل؛ لأن الأمر بالرحيل إلى مدينة كيش من (عشتار)، التي يقدّسها أهــلُ الرافدين في ذاك الزمن على ما تقول الحكاية، وينطق به بطل المسرحية:

**"واعذاباه يــا أبــي إن نفســي تتلظّــى؛ عشــتارُ شــاءت فراقــي**
**أمرتْني لكيشَ أذْهــبُ فاعــلمْ لكمــا البــرّ والوفــا لرفــاقي"[٣]**

---

(١) السابق، الموضع نفسه، وشغّيلة أي عاملين كادحين، لم ترد في المعاجم العربية، كما في: تكملة المعاجم العربية، ٣٢٤/٦، وقوله: "شذانا بنفحة الأعراق"، لعله أراد العَرَق الــذي يتصبب من الكادحين أنه شَذِيّ الرائحة، وفي لسان العرب أن العَرَق اسم جنس لا يُجمع، ١١٥/١٠.

(٢) سرجون الأكدي مسرحية شعرية، ص٢٦.

(٣) السابق، الموضع نفسه.

## خاتمـــة

الاهتمامُ بالسرود بمقاربة إنشائية تاريخية يجلّي اختلاف الخطاب ومهارة السارد فيها، واعتنى البحث بالشبهين الإلقائي والتربوي اللذَين كانا في طفولـــة موسى، وظهرا في سرود عربية ستة.

وفي قصة حي بن يقظان ظهر الإلقاء في الماء حركيًّا سرديًّا؛ صنع عزلة حي، وسوّغها سرديًّا، أما التربية عند الخصم فلم تظهر إلا بتأويل، كأنه حـــافز حجاجي عن غلبة القوة العاقلة القوة البهيمية، وكلا الحافزين يخـــدم موضـــوع القصة، وهو العقل في تفرّده، وقدرته على الإدراك والتجربة والوصـــول إلـــى نتائج، واستغنائه عن البناء على عقول الآخرين وتعليمهم.

وفي قصة ابن ذي يزن كانت تربية الخصم حاضرة في الخبر التـــاريخي وغائبة عن السيرة الشعبية، وهو حافز حركي سردي، أنمى السرد، إذ أشعر ابن ذي يزن بالإهانة من ابن مربّيه، الذي انتزعِ أمه من أبيه، وجعله يخـــرج إلـــى دِوَلٍ يستنجد بها؛ لإخراج الأحباش من اليمن، وأما حافز الإلقاء فحضـــر فـــي السيرة حركيًّا وصفيًّا ينفي عن ابن ذي يزن تربية العدو، وكلا الحافزين يصنع التنافر بين اليمن والحبشة؛ فيخدمان موضوع الحرب بينهما.

وحافز التربية في قصة ناشرة التغلبي حركيٌّ سرديٌّ؛ يقوّي من ســـردية البسوس، ويصوّر صراع الصحبة الشخصية والعداوة القَبَليّة، وهو مختلف عن قصة موسى وفرعون في الخير والشر، وكان في خدمة موضوع الثأر، الذي لا يتأثر بسابق معروف ولا بقديم إحسان.

وفي فصل (جبل) من رواية أولاد حارتنا كان حـــافز الإلقـــاء ســـكونيًّا، وظيفته الوصف لحال جبل وصفًا شبيهًا بحال موسى؛ تقريبا لرمزيته، وأما حافز التربية فحركيّ، وظّف لتأزيم الصراع بين الأصل والمنشأ، وإذا كان موضـــوع

الرواية هو تاريخ العقائد في المشرق العربي برمزية الحارة، فالحافزان حافظا على صلة الرمز بالمرموز إليه.

وحافز الإلقاء في مسرحية سرجون الأكدي حركي، جعله فاقد الانتماء إلى البستان، ومؤثِرًا الرحيل عنه، وأما حافز التربية فغير جلي؛ فما مِن خصومة بين سرجون وآكي الفلاح الذي ربّاه، إلا ما يشعر به تَرْدادُ آكي فضلَ البستان وحاجته إلى رعاية، كأنّ هذا الجدلَ جدلُ القرية والمدينة التي تتنازع جيل الشباب القَرَويّ الراغب في المدَنية، وهو حافز سكوني؛ لأن سرجون رحل بأمر عشتار كما في المسرحية نفسها، ولذلك فالأقرب أن موضوع تاريخ سرجون هو الحَكَم على هذين الحافزين.

## المراجـــــع

١- ابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ): أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، نسب معدّ واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨.

٢- ابن طفيل (ت ٥٨١هـ): أبو بكر يحيى بن طفيل الأندلسي، حي بن يقظان، ضمن: حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروردي، تحقيق وتعليق: أحمد أمين، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٦٦.

٣- ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ)، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المصري، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبدالمنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، د.ت.

٤- ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ): أبو عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، لجنة التأليف والمراجعة والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩.

٥- ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ): أبو عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، لجنة التأليف والمراجعة والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩.

٦- ابن منظور (٧١١هـ)، أبو الفضل محمد بن مكرم الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٦، ٢٠٠٨.

٧- أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ): الحسن بن عبد الله، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الجيل، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨.

٨- أفلاطون (ت ٤٢٧ق م)، جمهورية أفلاطون، ترجمة: حنّا خباز، مطبعة المقتطف والمقطم، ١٩٢٩م.

٩- بوريس توماشفسكي (ت ١٩٥٧م)، نظرية الأغراض، ضمن: نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ص١٧٥-٢١٨. ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٢.

١٠- جيرالد برنس، المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة: محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣.

١١- الخطيب التَّبْريزي (ت ٥٠٢هـ)، أبو زكريا يحيى بن علي، الكافي في العَروض والقوافي، تحقيق: الحساني حسن عبدالله، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤.

١٢- الرازي (ت ٦٠٦هـ)، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير، المطبعة الخيرية، مصر، ١٨٩١.

١٣- الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ): أبو القاسم الحسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

١٤- رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت ١٣٠٠هـ)، تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النُّعَيمي، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٧٩.

١٥- الزَّمَخْشري (ت٥٣٨هـ)، أبو القاسم جار الله محمد عمر الخوارزمي، الكَشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل عبد الموجود وآخرَين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨.

١٦- سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣.

١٧- شوقي عبدالحكيم (ت ٢٠٠٣م)، الحكاية الشعبية العربية، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٨٠.

١٨- صلحي إبراهيم (حي ١٩٧٠م)، سرجون الأكدي مسرحية شعرية، مطبعة النعمان، النجف، دون تاريخ.

١٩- الطبري (ت ٣١٠هـ): أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل الملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨.

٢٠- فاروق خورشيد (ت ٢٠٠٥م) (تحرير وتقديم)، سيف بن ذي يزن، دار العودة، بيروت، ١٩٨٦.

٢١- فؤاد حسنين، سيرة سيف بن ذي يزن، مجلة الثقافة، مصر، عدد ٢٦٢، ١٩٤٤، ص١٧-١٩.

٢٢- القاضي، محمد، (إشراف)، معجم السرديات، دار محمد علي، تونس، ط١، ٢٠١٠.

٢٣- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، دار النهار، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٤- محمد الجويلي، الطفل المتروك لحاله، معهد الشارقة للتراث، الشارقة، الإمارات، ط١، ٢٠٢٣.

٢٥- محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ) [منسوب إليه]، كتاب بكر وتغلب ابني وائل بن قاسط وفيه ما كان من كليب وجسّاس وما جرى بينهما، منشور ضمن: تاريخ الحروب العربية، عني بتصحيحه: سلمان الصفواني، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٢٨.

٢٦- محمد فريد أبوحديد (ت ١٩٦٧م)، المهلهل سيد ربيعة، لجنة التأليف والترجمة، مصر، ١٩٤٤.

٢٧- المرزوقي (ت ٤٢١هـ): أبو علي أحمد بن محمد، الأزمنة والأمكنة، دائرة المعارف، حيدرآباد، الهند، ١٣٢٢هـ.

٢٨- الميداني (٥١٨هـ): أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السنة المحمدية، مصر، ١٩٥٥.

٢٩- نجيب محفوظ (ت ٢٠٠٦م)، أولاد حارتنا، دار الشروق، القاهرة، ط٢٤، ٢٠٢٢.

٣٠- الوطواط (ت ٧١٨هـ)، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الكُتْبي، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، تحقيق: محمد عبد الله قاسم، دار القلم، دمشق، ٢٠١٨.

٣١- ياقوت (ت ٦٢٦هـ)، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

## مراجع أجنبية:

1- Donald B. Radford, The Literary Motif of the Exposed Child, (cf. Ex. ii 1-10), Numen, 14:3. (1967:Nov.).

## رومنة المراجع العربية:

i1- aibn alkalbi (t 204hi): 'abu almundhir hisham bin muhamad bin alsaaybi, nasab med walyaman alkabira, tahqiqa: naji hasan, ealim alkutab, bayrut, 1988.

2- abn tufayl (t 581hi): 'abu bakr yahyaa bin tufayl al'andalsi, hayi bin yaqzana, damna: hayi bn yaqzan liabn sina wabn tufayl walsahrurdi, tahqiq wataeliqi: 'ahmad 'amin, dar almaearifi, masr, ta3, 1966.

3- aibn eabd alhakam (t 257hi), 'abu alqasim eabd alrahman bin eabd allh almisri, fatuh misr walmaghribi, tahqiqu: eabdalmuneim eamir, alhayyat aleamat liqusur althaqafati, da.t.

4- aibn eabd rabih al'andalusiu (t 328hi): 'abu eumar 'ahmad bin muhamad, aleaqd alfiridi, tahqiqu: 'ahmad 'amin, wa'ahmad alzayn, wa'iibrahim al'abyari, lajnat altaalif walmurajaeat waltarjamat walnashri, alqahirati, 1969.

5- aibn eabd rabih al'andalusiu (t 328hi): 'abu eumar 'ahmad bin muhamad, aleaqd alfiridi, tahqiqu: 'ahmad 'amin, wa'ahmad alzayn, wa'iibrahim al'abyari, lajnat altaalif walmurajaeat waltarjamat walnashri, alqahirati, 1969.

6- abn manzur (711hi), 'abu alfadl muhamad bin makram al'iifriqii, lisan alearbi, dar sadir, bayrut, ta6, 2008.

7- 'abu h lal aleaskariu (t 395hi): alhasan bin eabd allah, jamharat al'amthali, tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, eabd almajid qatamish, dar aljili, dar alfikri, bayrut, ta2, 1988.

8- 'aflatun (t 427q mi), jumhuriat 'aflatun, tarjamatu: hnna khabazi, matbaeat almuqtataf walmuqatami, 1929m.

9- buris tumashfiski (t 1957ma), nazariat al'aghradi, damna: nazariat almanhaj alshakli, nusus alshaklaniiyn alruws, sa175-218. tarjamatu: 'iibrahim alkhatib, muasasat al'abhath alearabiati, bayrut, ta1, 1982.

10- jirald birinsi, almustalah alsardi, tarjamatu: eabid khazindar, murajaeata: muhamad briri, almajlis al'aelaa lilthaqafati, alqahirati, ta1, 2003.

11- alkhatib alttabryzy (t 502hi), 'abu zakariaa yahyaa bin eulay, alkafi fi alearwd walqawafi, tahqiqu: alhasaani hasan eabdallah, maktabat alkhanji, alqahirati, ta3, 1994.

12- alraazi (t 606h), fakhr aldiyn muhamad bin eumra, mafatih alghayb almushtahir bialtafsir alkabiri, almatbaeat alkhayriati, masr, 1891.

13- alraaghib al'asfahani (t 502h): 'abu alqasim alhusayn bin muhamad, muhadarat al'udaba' wamuhawarat alshueara' walbulagha'i, sharikat dar al'arqam bin 'abi al'arqamu, bayrut, ta1, 1999.

14- rinhart bitir an duzi (t 1300h), takmilat almaeajim alearabiati, tarjamata: muhamad salim alnnueaymy, wizarat althaqafat wal'iielami, aleiraqi, 1979.

15- alzzamakhshry (t538h), 'abu alqasim jar allah muhamad eumar alkhawarizami, alkashshaf ean haqayiq ghawamid altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawili, tahqiqu: eadil eabd almawjud wakhrayn, maktabat aleibikan, alrayad, ta1, 1998.

16- sami saeid al'ahmad, almuetaqadat aldiyniat fi aleiraq alqadimi, almarkaz al'akadimiu lil'abhathi, bayrut, 2013.

17- shawqi eabdalhakim (t 2003mi), alhikayat alshaebiat alearabiatu, dar abn khaldun, birut, 1980.

18- sulhi 'iibrahim (hi 1970mi), sirjun al'akdiu masrahiat shaeriatun, matbaeat alnueman, alnajufa, dun tarikhi.

19- altabari (t 310hi): 'abu jaefar muhamad bin jirir, tarikh alrusul almuluka, tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, dar almaearifi, masr, 1968.

20- faruq khurshid (t 2005mu) (tahrir wataqdimu), sayf bin dhi yazan, dar aleawdati, bayrut, 1986.

21- fuaad hasnin, sirat sayf bin dhi yazn, majalat althaqafati, masr, eadad 262, 1944, sa17-19.

22- alqadi, muhamad, ('iishraf), muejam alsardiaati, dar muhamad ealay, tunis, ta1, 2010.

23- latif zituni, muejam mustalahat naqd alriwayati, maktabat lubnan, dar alnahari, ta1, 2003m.

24- muhamad aljuayli, altifl almatruk lihalihi, maehad alshaariqat liltarathi, alshaariqati, al'iimarati, ta1, 2023.

25- muhamad bn 'iishaq (t 151hi) [mansub 'iilayhi], kitab bakr wataghalab abni wayil bin qasit wafih ma kan min klib wjssas wama jaraa baynahuma, manshur damina: tarikh alhurub alearabiati, eani bitashihihi: salman alsafwani, matbaeat dar alsalam, baghdad, 1928.

26- muhamad farid 'abuhdid (t 1967mi), almuhalhil sayid rabieat, lajnat altaalif waltarjamati, masr, 1944.

27- almarzuqi (t 421hi): 'abu eali 'ahmad bin muhamad, al'azminat wal'amkinatu, dayirat almaearifi, haydrabad, alhindi, 1322hi.

28- almaydani (518h): 'abu alfadl 'ahmad bin muhamad alniysaburi, mujamae al'amthali, tahqiqu: muhamad muhyi aldiyn eabdalhamid, matbaeat alsanat almuhamadiati, masr, 1955.

29- najib mahfuz (t 2006ma), 'awlad hartina, dar alshuruqi, alqahirati, ta24, 2022.

30- alwatawat (t 718h), 'abu eabd allh muhamad bin 'iibrahim alkutby, gharar alkhasayis alwadihat waeurar alnaqayis alfadihati, tahqiqa: muhamad eabd allah qasima, dar alqalami, dimashqa, 2018.

31- yaqut (t 626h), shihab aldiyn 'abu eabd allah yaqut bin eabd allah alruwmi alhamwy, muejam al'udaba' 'iirshad al'arib 'iilaa maerifat al'adib, tahqiqu: 'iihsan eabaas, dar algharb al'iislami, bayrut, ta1, 1993.

# فهرس الموضوعات


| م | الموضوعات |
|---|---|
| ١ | مقدمة |
| ٢ | أولا، حي بن يقظان |
| ٣ | ثانيا، ابن ذي يزن |
| ٤ | ثالثا، ناشرة التغلبي |
| ٥ | رابعا، جبل بن آل حمدان |
| ٦ | خامسا، سرجون الأَكَديّ |
| ٧ | خاتمة |
| ٨ | المراجع |